طريقة السلف

التي كانت السمة البارزة للعلماء الثلاثة

ولم يَنصَبْ أئمَّتُنا لعَيشٍ
ولا اكْتَسَبوا المَرافِقَ والشُّئونا

لم يكتسبوا الأثاث والبيوت الفاخرة؛ لأنهم كانوا بسطاء، فقد كان ابن باز ـ رحمه الله ـ كما قال لي أحد الشباب عن أحد العلماء العارفين به : إنه لمدة ثلاثين سنة كان يأكل الطعام مع ضيوفه، ولم يكن يدخّر شيئاً، فقد كان الضيوف عنده كل يوم، وكان ينفق كل مرتبه وكل دخْله ويقترض فوق ذلك.

والشيخ الندوي ـ رحمه الله ـ كانت مائدته العدس والخبز، وقد زاره بعض العلماء فبكَوا حين رأوا مائدته، وكان يعيش في غرفة متواضعة.

وكان الألباني ـ رحمه الله ـ يعيش كذلك حياة البساطة معتمداً في أول الأمر على دخْله من إصلاح الساعات، ثم

بعد ذلك على دخْله المتواضع من بَيع كتبه.

أمَا عاش الرسولُ على كَفَافٍ
وكان بمَسْكَنٍ إذْ كان طِينا؟

لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام وهوالقدوة، كان يمرُّ به الهلال والهلالان والثلاثة ولا يوقَد في بيته نار، كما في الحديث الصحيح الذي ذكَرته عائشة رضي الله عنها، لقد كان يعيش على البساطة والكفاف.

وكانت حجرات الرسول ﷺ كلها من الطين.

وخيَّر نِسْوَةً زَوْجات صِدْقٍ
فآثَرْنَ البَساطةَ ما بَقينا

قال تعالى مخاطبًا النبي ﷺ في تخيير زوجاته رضي الله عنهن: ﴿ يا أيُّها النَّبيُّ قُل لأزْواجك إن كُنتنَّ تُردْنَ الحياةَ الدُّنيا وزِينتها فتعالَيْن أُمتعْكنَّ وأُسرِّحْكنَّ سراحا جميلا (٢٨) وإن كُنتنَّ تُردْنَ اللَّه ورسُوله والدَّار الآخرة فإنَّ اللَّه أعدَّ للْمُحْسنات منكنَّ أجْرا عظيما (٢٩) ﴾.

[الأحزاب: ٢٨-٢٩].

[فاخترْنَ الله ورسوله على الحياة الدنيا وزينتها، واخترْنَ حياة الزهد رضي الله عنهن] .

ولَوشَاءَ الرسولُ لَعاشَ فَرْداً
كَريداً في المُلوكِ الناعِمينا

وقد خيَّر الله نبيه ﷺ بين أن يكون عبداً رسولاً أويكون ملكاً رسولاً؛ فاختار أن يكون عبداً رسولاً .

ولكنْ سَنَّ للتغييرِ نَهْجاً
هوالأَهْدَى وجَرَّبْنا قُرونا

لقد جاء الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أجل التغيير، وهذا هونهجه في التغيير؛ البساطة والزهد .

وقد جرب المسلمون قروناً ولم يجدوا أنجع من هذه الوسيلة،وسيلة الرسول عليه الصلاة والسلام في التغيير.

ولَيسَ يُحَرِّمُ الزِّيناتِ لكنْ
بهذا العزْمِ أَمَّ المؤمنينا

والرسول ـ ﷺ ـ لا يُحرِّم الزينة لأن الله يقول: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ

هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ [الأعراف: ٣٢]، ولكن الرسول ﷺ إمامٌ، ولابد للإمام أن يأخذ نفسه بالعزائم، ومنها الزهد والتياسر.

فمن يريد الإمامة لابد أن يكون زاهداً متياسراً متبعاً لرسول الله ﷺ.

ومَن طَلَبَ الإمَامةَ دُونَ هَدْيٍ
كَهَذا الهَدْيِ حَتْماً لنْ تَكُونا

ومن طلب الإمامة بدون اتباع لهدْي الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد طلب السراب.

أَقيموا دَولةَ الإسلامَ فيكم
تَقُمْ في أَرْضِكم حِصْناً حَصينا

أقيموا دولة الإسلام أولاً في سلوكياتكم وفي أخلاقكم وبزُهْدكم، تقُم لكم في أرضكم؛ كرامةً من الله لمن أطاعهُ والتزم منهج الحق. والدعاة والعلماء هم أول المخاطبين بهذا.